الموقف الفلسطيني من الانتداب البريطاني
مـن المساومـة الـى المقاومـة

فيصل حوراني

لم ينشأ الموقف الفلسطيني من الانتداب البريطاني على فلسطين دفعة واحدة. وتعود بدايات هذا الموقف الى الظروف التي أدت الى التعاون بين الحركة العربية القومية، المتجهة الى تحقيق الاستقلال عن الدولة العثمانية، وبريطانيا الطامعة في الحصول على حصة كبيرة من تركة هذه الدولة. ففي هذه الظروف، تعـاون العـرب القوميون مع بريطانيا كحليف، بل انهم هم الذين نشدوا التعاون معها، بالذات، في سياق التعبير عن حاجة البرجوازية العربية الناشئة للتعاون مع دولة برجوازية متقدمة.

حركة الاستقلال العربية تختار التعاون مع بريطانيا

ويمكن ان نجد التعبير الاوضح عن نشدان العرب التعاون مع بريطانيا في المذكرة التي وجهها شريف مكة (الملك، فيما بعد) حسين بن علي الى سير هنري مكماهون، في ١٤ تموز (يوليو) ١٩١٥، أي في بداية المفاوضات الطويلة التي دارت بين زعيم حركة الاستقلال العربي والمعتمد البريطاني المقيم في القاهرة[١]. فهذه المذكرة تبلغ الى الجانب البريطاني، أن العرب جميعهم، دون استثناء، قد قرروا، في الاعوام الاخيرة، أن يعيشوا، وأن يفوزوا بحريتهم المطلقة، وان يتسلموا مقاليد الحكم، نظرياً وعملياً، بأيديهم؛ ثم تقول، بوضوح بليغ، ان العرب هؤلاء شعروا، وتأكدوا، انه من مصلحة بريـطانيـا العـظمى ان تسـاعـدهم، وتعاونهم، للوصول الى امانيهم المشروعة؛ كما أدركوا ان من مصلحتهم هم «ان يفضلوا مسـاعـدة حكـومة بريطانيا عن اية حكومة اخرى، بالنظر الى مركزها الجغـرافي ومصالحها الاقتصادية وموقفهم من حكومة بريطانيا»[٢]. وفي ضوء ذلك، تعرض مذكرة الشريف حسين على بريطانيا ان تعترف باستقلال البلاد العربية، وتذكر حدود هذه البلاد؛ فهي تمتد من مرسين الى أضنة حتى الخليج الفارسي شمالاً، ومن بلاد فارس حتى البصرة شرقاً، ومن المحيط الهندي المحاذي للجزيرة العربية جنوباً ـ تستثنى من ذلك عدن التي تظل تابعة لحكم بريطانيا ـ ومن البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط حتى سيناء غرباً، وتدعوها الى ان توافق «أيضاً على اعلان خليفة عربي للمسلمين »[٣]. في مقابل ذلك، يتعهد شريف مكة بأن تعترف الحكومة العربية التي ستقوم في هذه البلاد بافضلية انجلترا في كل مشروع اقتصادي في البلاد العربية؛ كما يتعهد بأن تتعاون الحكومتان، الانجليزية والعربية الموعودة، في مجابهة كل قوة تهاجم أحد الفريقين؛ ويرى ان يجيء هذا التعاون «حفظاً لاستقلال البلاد العربية، أو تأميناً لافضلية انجلترا الاقتصادية فيها، على أن يكون هذا التعاون في كل شيء: في القوة العسكرية، والبحرية، والجوية»[٤].

وهـذا يعني، بلغـة أوضـح، ان القيادة العربية، الراغبة من جانبها في التعاون مع بريطانيا،